الفصل السادس

نمو الطفل التوحدي

الفصل السادس
نمو الطفل التوحدي

مقدمة :

يشبه نمو الأطفال التوحديين نمو الأطفال الآخرين. فهم يمشون قبل أن يجروا، ويستخدمون الكلمات قبل الجمل، ولكن غالباً ما يكون نموهم غير منتظم. فعلى سبيل المثال ربما ينطبق المستوى العمري على الطفل التوحدي في المهارات الحركية العشوائية الظاهرة Gross Motor Skills ، ولكنه قد يتأخر تأخراً واضحاً في النمو الاجتماعي . بل إن ذلك يظهر بوضوح وينطبق على الأطفال ذوي الأعراض الحادة أكثر مما ينطبق على الأطفال ذوي الأعراض الخفيفة أو المتوسطة . وتعتبر مجالات الاتصال والمهارات الاجتماعية أكثر المجالات تعرضاً لذلك التأخر . ومع ذلك فحتى في مجال القدرات الحركية، ربما يظهر الأطفال التوحديون بعض الفروق والاختلافات عن الأطفال الآخرين، فعلى سبيل المثال ربما لا يظهرون اتساقاً في تفضيل اليد اليمنى أو اليد اليسرى. ويعرف آباء الأطفال التوحديين أن طفلهم قد حاد على نحو مزعج عن الأنماط المألوفة والطبيعية من النمو المعرفي ، والاجتماعي ، والعاطفي، والنمو المتعلق بالاتصال . ومن ناحية أخرى ربما تنمو مهارات الطفل الحركية بشكل طبيعي أو قد يتأخر قليلاً عن المعدلات الطبيعية ، ما لم تؤثر بعض الإعاقات البدنية على نموه الحركي . وبالطبع فإن مشاهدة الآباء للطفل وملاحظتهم له وهو يجلس ويحبو ويمشي رويداً رويداً بمرور الزمن ربما تؤكد للآباء أن كل شيء على ما يرام . ولربما لا ينشغل الآباء ويقلقون على نمو الطفل إلا عندما تفشل بعض مهارات الاتصال الأكثر تعقيداً، أو عندما لا تبدأ تلك المهارات في الظهور أصلاً.

ولا يبدأ آباء الأطفال التوحديين في الانشغال جدياً في نمو أطفالهم حتى وقت متأخر من العام الأول ، وإن كانوا يتذكرون فيما بعد مشكلات ترجع إلى أوقات مبكرة. وتظهر أشرطة الفيديو أن الأطفال التوحديين يظهرون فروقاً واضحة واختلافات كبيرة عن الأطفال الآخرين في حفلة ميلادهم الأولى. وتزداد أعراض التوحدية بالتدريج في العام الثاني ، وتصل ذروتها في الفترة من الثانية إلى الرابعة ثم تتحسن بعض الشيء.

ولعله من المفيد والمشجع أن نذكر أن الأطفال الذين يتم تشخيصهم على أنهم توحديون في هذه الأيام أفضل في مظهرهم إلى حد ما من الأطفال الذين تم تشخيصهم على أنهم توحديون منذ فترة تتراوح بين ١٠ – ١٥ سنة . وربما يصدق ذلك بصفة خاصة على مهاراتهم اللغوية والمعرفية ، ولكنه ينطبق بدرجة أقل على المهارات الاجتماعية . وكلما كانت قدرات الطفل محدودة في سن مبكرة، انخفض التقدم الذي يحرزه عبر الزمن . وتعتمد درجة النمو التلقائي الذي يحققه الطفل على حدة الأعراض لديه : فالأطفال ذوو الإعاقات الخفيفة والذين يتلقون تدخلاً ملائماً ربما يظهرون انخفاضاً كبيراً في السلوكيات غير الطبيعية بحيث يبدو عليهم أنهم ليسوا توحديين قبل أن يصلوا إلى سن المدرسة ؛ في حين أن الأطفال الذين يعانون من مشكلات حادة من سن مبكرة ، ربما يستمرون في العناء من تلك المشكلات والمزيد عليهما.

وعلى أية حال إذا كان الطفل التوحدي صغيراً فيتوقع أن يتغير سلوكه إلى الأفضل في خلال العامين الأولين . ويمكن أن يقدم التدخل المكثف المبكر فروقاً واختلافات كبيرة . ويلخص جدول (١) الفروق والصعوبات التي يمكن أن تسببها التوحدية . وفيما يلي سنناقش بمزيد من التفصيل تلك الصعوبات المرتبطة بالنمو، وسنقدم بعض النصائح المعنية بمساعدة الطفل في التغلب على السلوكيات المشكلة .

النمو المعرفي لدى الأطفال التوحديين :

ثمة فروق واختلافات متنوعة ومتتابعة بين الأفراد ، حتى الذين ينمون نمواً طبيعياً ، لا سيما في القدرات المعرفية . ورغم أن معظم الناس يمكن وصفهم بأنهم حول المتوسط ، فهناك بعض الموهوبين واللامعين، وهناك من تتدنى قدراتهم العقلية والمعرفية دون المتوسط يوصفون بأنهم متخلفون عقلياً. وتقاس تلك القدرات باختبارات الذكاء، وكذلك بمدى قدرة الأفراد على مواجهة الحياة اليومية والتكيف معها. ومعظم الأطفال التوحديين تنخفض قدراتهم العقلية إلى ما دون المتوسط بكثير. وفي الواقع فإن سبعين بالمائة (٧٠٪) من أولئك الأطفال متخلفون عقلياً، في حين أن ثلاثين بالمائة (٣٠٪) منهم لديهم قدرات

طبيعية أو فوق المتوسط . ويستطيع الأطفال الذين لديهم قدرات في المدى الطبيعي أن يسيطروا على كثير من المواد في المناهج الدراسية العادية، وإن كانوا يظهرون أعراض التوحدية .

ويجد كثير من الآباء أن التمييز بين التوحدية والتخلف العقلي أمر محير ومربك ولعله من المفيد أن نتذكر أن معظم الأطفال المتخلفين عقلياً تنسجم وتتفق مهاراتهم اللغوية والاجتماعية مع قدراتهم العقلية ، في حين أن الطفل التوحدي تتأخر مهاراته اللغوية والاجتماعية عن باقي القدرات والمهارات . فالطفل التوحدي الذي لا يعاني من التخلف العقلي ربما يتقن كثيراً من المهارات الأكاديمية ، ولكنه يتحدث بطريقة غريبة ، وربما تكون قدراته على مسايرة عواطف ومشاعر الطفولة محدودة جداً . ورغم أنه قد يتعلم أن يتبع مجموعة من القواعد والقوانين التي تحكم التفاعل الاجتماعي ، فإن تفاعلاته غالباً ما تفتقر إلى التلقائية والرقة التي تميز علاقات معظم الناس . وعلى العكس من ذلك فإن الطفل التوحدي الذي يعاني من التخلف العقلي سيتعلم ببطء شديد ، وقدرته على الكلام محدودة ، وقدرته على تمييز الناس الآخرين محدودة عن الطفل التوحدي الذي لا يعاني من التخلف العقلي .

وبغض النظر عما إذا كان الطفل التوحدي من بين الأغلبية التي تعاني من التخلف العقلي ، أو من بين تلك النسبة الصغيرة التي تحظى بمهارات أعلى ، فإن الآباء يريدون أن يتأكدوا من أن طفلهم يتعرض لمدىً واسع من فرص التعلم من البيئة . ولا شك أن الفرص المتكررة من الأجازات ، والذهاب إلى المتاجر، ومشاهدة برامج الأطفال في التلفاز ، وتعلم علاقة السبب والنتيجة (الأثر) من بين الأحداث الكثيرة التي تحدث بشكل روتيني في البيت والمجتمع ؛ كل ذلك سيساعد الطفل على جمع ذخيرة وتكوين حصيلة من المعارف والمعلومات عن العالم المحيط به ، وعن طريقة مواجهة الأنشطة اليومية. ولعل الأطفال ذوي القدرات العقلية المنخفضة سيحتاجون قدراً أكبر من التعرض لتلك الفرص، ولكن جميع الأطفال التوحديين يمكن أن يتعلموا بمرور الزمن. وعندما يدخلون مرحلة

المـــراهقة فإن قدراتهم العقلية تبقى ثابتة ، وتظهر مجموعة صغيرة منهم زيادة في مستوى الذكاء ، وتظهر مجموعة أصغر انخفاضاً في مستوى الذكاء .

النمو اللغوي لدى الأطفال التوحديين :

ربمـــا يكـــون الفشـــل في الكلام هو أول مظهر يلاحظه الآباء من مظاهر وأعـــراض التوحدية . والحق أن الدراسات التي تناولت الأطفال التوحديين تقترح أن نموهم اللغوي ربما يكون غريباً وشاذاً منذ أول شهرين ، فربما يعجز الأطفال الـــتوحديون عـــن البأبأة أو المناغاة ، وربما يظهرون قدراً كبيراً من التنوع في الأصوات التي يصدرونها ، وربما لا يصدر عنهم إلا الصراخ والعويل المرتفع.

وعـــادة مـــا تظهـــر التأخرات التي تطرأ على النموالغوي ظهوراً واضحاً وجلـــياً في سن اثنتي عشرة شهراً . وفي حين أن الأطفال العاديين يتعلمون كلمة "ماما" ، " بابا" وكلمة أخرى قبل تلك السن ، فإن الأطفال التوحديين بشكل عام لا يتعلمون أي كلمات ، ولا يستطيعون أن يقلدوا أصوات آبائهم التي ليس لها معنى فـــي حيـــن أن الأطفال العاديين في سن الثانية يستطيعون أن يأتوا ببعض الجمل المكونـــة مـــن ثلاث كلمات ، وأن يكونوا محادثة خيالية مع أنفسهم ، فإن الطفل التوحدي يمكن أن يفقد بعض الكلمات التي تعلمها.

وبين سن الرابعة والخامسة يبدأ الطفل التوحدي في إظهار تقدم بطيء في الـــنمو اللغـــوي وربما يتعلم بعض الكلمات ويحفظها عن ظهر قلب ، ولكن قدرته علـــى استخدامها في التواصل ربما تكون محدودة. وفي سن الرابعة يستخدم ربع الأطفال التوحديين تقريباً الكلام على نحو مفهوم ، وفقط للتعبير عن حاجة ملحة، كأن يطلبوا بعض العصير على سبيل المثال في حين يبقى أكثر من نصف الأطفال التوحديين عاجزين عن استخدام الحديث المفيد قبل هذا العمر ، بينما يردد خمسة وعشرون بالمائة (٢٥٪) منهم كلمات الآخرين وعباراتهم دون فهم كالببغاوات . ويعتبر استخدام الكلام المفيد مؤشراً جيداً على التطور والنمو في المستقبل .

وبمـــرور الزمـــن فإن جميع الأطفال التوحديين يحققون مكاسب في النمو اللغوي . وحتى أولئك الذين يعانون من درجات شديدة وحادة من الإعاقة بحيث لا يستطيعون أن يطوروا حديثا وظيفيا يمكنهم أن يكتسبوا على الأقل بعض المهارة

فـــي فهـــم اللغة . في حين أن بعض الأطفال التوحديين ربما يطورون في النهاية حديـــثاً يقترب من الحديث الطبيعي ، ويجدون أن قدرتهم على الاتصال قد أعيقت فقط بفعل القصور في تغيير طبقة الصوت مما يجعل حديثهم يبدو ميكانيكياً، ويقع معظم الأطفال التوحديين في مكان ما بين هذين النقيضين .

وبغـــض الـــنظر عن حدة توحدية الطفل ، فإن الآباء بوسعهم أن يساعدوه على تنمية مهارات اللغوية إلى أقصى درجة: ويتم ذلك من خلال عدة طرق يمكن تعلمهـــا تحـــت توجـــيه معالج نفسي أو معلم ذي خبرة في علاج مشكلات الكلام، وتشمل عدة استراتيجيات مثل استخدام اللغة مع الطفل ، والإصرار على استخدام اللغـــة مـــع الطفل ، والإصرار على استخدام الطفل للغة التي في حوزته ، وتقديم استجابات مدعمة ومعززة عندما يحاول الطفل أن يتواصل مع الآخرين .

النمو الاجتماعي لدى الاطفال التوحديين :

وبالإضـــافة إلـــى تأخر اللغة لدى الطفل ، ربما يجد الآباء نقصاً كبيراً في التقدم في النمو الاجتماعي . ورغم أن معظم الأطفال التوحديين (تقريباً اثنان من كـــل ثلاثة) لا يبدأون فعلاً في الانسحاب حتى سن الثانية ، وعادة ما يلاحظ الآباء مشـــكلات أخرى في النمو الاجتماعي قبل ذلك بكثير . ففي الشهور القلائل الأولى ربمـــا ينزعج الآباء لأن ابنهم لا يمد يديه لمن يريد أن يحمله كما يفعل غيره من الأطفال . وفي سن عام ربما يتصلب ويتخشب الطفل عندما يحمله الآباء ، ويبدو غـــير مهـــتم على الإطلاق بحركات الأطفال الاجتماعية البسيطة من قبيل التلويح بـــيديه " مـــع السلامة " . وعلى النقيض من الأطفال الطبيعيين ربما يظهر الطفل الـــتوحدي قلـــيلاً مـــن القلـــق ، إذا أظهر قلقاً أصلاً ، عندما يترك بمفرده أو مع شخص غريب .

جدول رقم ١

الأعراض المبكرة للتوحدية (من الميلاد حتى الخامسة)
من الميلاد حتى ستة أشهر : • ربما يكون جيداً جداً . • ربما يكون سريع الاستثارة ، وسريع الحزن . • لا يرفع يديه لمن يذهب إليه ليحمله . • لا يستطيع أن يأتي بالبأباة أو المناغاة . • يفتقر إلى الابتسامة الاجتماعية . • يفتقر إلى التواصل البصري . • ربما يبدو النمو الحركي طبيعياً . من ٦ أشهر حتى ١٢ شهراً • لا يحضن ، وربما يتخشب ويتصلب عندما يحاول أحد حمله . • لا يبالي بالآباء . • لا يأتي بالحركات والإشارات الاجتماعية (مثل التلويح بيديه:مع السلامة). • لا يبدأ في استخدام الكلمات . • لا يبدو مهتماً بلعب الأطفال . • يبدو مبهوراً بيديه . • يتأخر نموه الحركي ويضطرب . • ربما لا يمضغ ولا يقبل الطعام الصلب . من سنتين إلى ثلاث سنوات : • لا يزال الاهتمام الشخصي محدوداً . • ربما يظهر بعض التحسن . • يستخدم الأشخاص الآخرين كأدوات . • تواصله البصري محدود . • ربما يلعق الأشياء أو يستنشقها . • لا يحضن ، ربما يتصلب أو يرتخي عندما يمسكه شخص ما . • لا يبالي بالآباء . من سن ٤ سنوات إلى سن ٥ سنوات : • إذا نما الكلام وتطور، فربما يردد ويكرر ما يقوله الآخرون إما على الفور أو بعد حين . • أنماط غريبة من الصوت (حاد جداً ، على سبيل المثال) • ينزعج ويتضايق جداً عندما يتغير الروتين الذي ألفه . • لا يزال التواصل البصري محدوداً ، وربما يظهر بعض التحسن . • زيادة تدريجية في العواطف ، ولكنها لا تزال محدودة . • يستمر في العدوان ونوبات الغضب ، ولكنه ربما يتحسن تدريجياً . • إيذاء الذات . • إثارة الذات .

وعلى الرغم من تلك الاختلافات والفروق في النمو الاجتماعي ، فإن الطفل – ككل الآباء – ربما تستحوذ عليهم المشكلات الجديدة ، التي بدأت تطفو على السطح حول العام الثاني للطفل . وعندما يبدأ الطفل في الانسحاب من العالم الخارجي وينخرط في سلوكيات إثارة الذات ، فإن الآباء ربما يربطون التغيرات التي تطرأ على الطفل بأي حدث رئيس في حياة الطفل مثل مرض الطفل أو ميلاد أخ جديد له . وفي الواقع ، ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن تلك الخبرات تساعد في إطلاق وبعث وإيجاد انسحاب الطفل ؛ فالتوحدية تنتج عن عوامل بيولوجية وليس عن تأخر في الممارسات والأنشطة التي يقوم بها الطفل . وكما هو الحال في مناطق النمو الأخرى التي يقوم بها الطفل .

وكما هو الحال في مناطق النمو الأخرى، فإن مقدار التقدم الذي يحرزه الطفل في النمو الاجتماعي مرتبط بقدراته المعرفية. فالأطفال الذين يعانون من درجات أكبر من الإعاقة العقلية عادةً ما يظهرون تغييرات أقل، في حين أن الأطفال الأقل من حيث الإعاقة العقلية يحرزون درجات أكبر من التقدم. وعلى الآباء أن يتأكدوا من أن الطفل في بعض الأحيان لابد أن يحيد عن المسار المرسوم له في النمو الاجتماعي. وعندما يتقدم بعض الأطفال في السن فإنهم يصبحون أقل عزلةً، وإن كانوا يبحثون أيضاً عن قدر أقل من الراحة لدى الآخرين .

وعادةً ما يبدأ السلوك الاجتماعي في التحسن لدى الطفل التوحدي في سن الرابعة. وعلى سبيل المثال قد يستمر الطفل في الانخراط في سلوكيات إثارة الذات وإيذاء الذات، ولكنه يبدأ أيضاً في إظهار بعض العواطف تجاه أفراد العائلة. ورغم أنه ما زال شديد الغضب عندما يطرأ أي تغيير على نظامه اليومي أو الروتين المتبع لديه ، فإن تكرار وحدة نوبات الغضب يمكن أن تقل وتنخفض . ومع ذلك تبقى العلاقات مع أقرانه في سن ما قبل المدرسة مشكلة ، فالأطفال التوحديون ليس لديهم إلا القليل من العلاقات مع أقرانهم لأنهم لا يستمتعون إلا بالقليل من الألعاب التفاعلية ، إذا استمتعوا بأيها أصلاً ، وربما يظهرون قدراً قليلاً من الخيال أو التخيل في ألعابهم .

وعـندما يدخـل التوحديون مرحلة المراهقة ، فإن معظمهم يصبحون أكثر مرونةً في استجاباتهم للبيئة ، ولا يظهرون إلا قليلاً من مشكلات ضبط السلوك ، وإن كانـت نسـبة قليلة من المراهقين التوحديين يظهرون زيادة في الحاجة إلى البقاء في بيئتهم على نحو متواصل . فالطفل الذي حددت حاجته للروتين أنشطته وحجمـتها فـي السـنوات الأولى ربما يصبح أكثر قدرة على التسامح مع بعض التغـيرات ، أمـا الطفـل الذي كان ينخرط في النوبات عندما يحبط ، فإنه ينمي مهارات الاتصال ليتخلص من حاجته للسلوكيات التمزيقية والتخريبية .

وربمـا يطـور المراهقون التوحديون ذوو الدرجات الخفيفة من التوحدية اهـتماماً بالأفراد الآخرين ، ولكنهم ربما يواجهون بعض المشكلات في الاقتراب مـنهم والـتفاعل معهـم بطـريقة مرضية . ومن النادر جداً أن يطور الشخص التوحدي صداقة حميمة . وبالنسبة لبعض المراهقين التوحديين يمثل ذلك مصدرا للهـم والغم ، حيث إنهم يبدأون في التعرف على الفجوة بينهم وبين الآخرين في حيـن يـبقى آخرون من المراهقين والراشدين التوحديين ذوي المستوى العقلي المـنخفض علـى درجـة كبـيرة من الانسحاب ، ولكنهم ربما يظهرون ارتباطاً بأسـرتهم أكثر من الارتباط الذي كانوا يظهرونه عندما كانوا أصغر سناً . وأياً ما كانـت قدراتهـم المعرفية ، فإن قدرة الأفراد التوحديين على الإحساس بمشاعر الآخرين تبقى محدودة جداً . فالأمور الرقيقة التي تخبرنا بأننا قد تسببنا في إهانة شـخص ما، أو التي تشعرنا بأن شخصاً ما مسرور أو منزعج منا ربما لا تتوافر لدى الشخص التوحدي . ونتيجة لذلك فإن الأفراد التوحديين الذين يحصلون على وظائف في القوى العاملة ربما يحتاجون للمساعدة في إدارة علاقاتهم مع أقرانهم والمشرفين عليهم .

وماذا عن المشكلات الأخرى المرتبطة بالنمو الاجتماعي من قبيل العدوان، نوبـات الغضب والصرع ، وإيذاء الذات ؟ هل تتغير تلك المشكلات بتقدم العمر؟ والـذي نعلمه أن النشاط الزائد والعدوان والتدمير والتخريب وإثارة الذات تزداد سـوءاً بـتقدم الطفل في العمر؛ ولذا فمن المهم جداً أن تعالج تلك السلوكيات في الطفولـة . وعلـى أية حال فإن العدوان الذي كان يمكن التغاضي عنه والتسامح معه في سن الخامسة لا يمكن التساهل معه في سن العشرين.

وبصفة عامة ليس من السهل التأثر في النمو الاجتماعي للطفل التوحدي كما هو الحال بالنسبة للتأثير في النمو اللغوي ، ولكن هناك كثيرا من الطرق التي يمكن أن يساعد الآباء بها طفلهم على النمو . ومن أنفع الخطوات التي يمكن أن يتخذها الآباء أن يستوثقوا من أن طفلهم قد تعرض لمدىً من الخبرات والمواقف الاجتماعية . ورغم أن الطفل في البداية لا يبدو مهماً بالآخرين أو متجاوباً معهم، فمن المهم أن يستمر الآباء في المحاولة ، وألا يستسلموا لليأس ويخضعوا للإحباط. وليراعوا أن يكون الاتصال الاجتماعي قصيراً بحيث لا يشعر بأنه ممل وسخيف، وعليهم ألا يذعنوا لرغبة الطفل في البقاء بمفرده . وعليهم ألا يعتمدوا على المدرسة فقط كمصدر لتوفير الفرص للنمو الاجتماعي . فتعلم الاندماج مع الآخرين يحتاج إلى الامتداد إلى ما وراء المدرسة وإلى العالم خارج الفصل .

مشكلات النمو الأخرى :

بالإضافة إلى المشكلات الاجتماعية والمشكلات اللغوية فإن الأطفال التوحديين غالباً ما يعانون من تأخر في النمو لا سيما في اكتساب مهارات مساعدة الذات ؛ فتعلم استخدام المرحاض ومهارات قضاء الحاجة على سبيل المثال يعتبر عقبةً كئوداً بالنسبة لكثير من الأطفال . فبينما يتعلم معظم الأطفال العاديين مهارات قضاء الحاجة بين الثانية والثالثة ، فإن ما يقرب من نصف الأطفال التوحديين لا يتعلمون تلك المهارات إلا قبيل السنة الرابعة . وبالإضافة إلى ذلك فإن كثيراً من الأطفال التوحديين يعانون من مشكلات ويواجهون صعوبات في اكتساب العادات الحسنة لتناول الطعام ، كما أنهم قد يصرون على تناول طعام واحد لعدة شهور .

ومن المشكلات التي تواجه القائمين برعاية الأطفال التوحديين مشكلة تعويدهم على نمط طبيعي للنوم . ففي فترة ما بين الثانية والثالثة يقاوم الأطفال التوحديون الذهاب للنوم ، وكثيراً ما يستيقظون أثناء النوم . ورغم أنه من غير المألوف أن يهرع الطفل في فترة ما قبل المدرسة إلى مخدع أبيه أو أمه عندما يفزعه كابوس ، فإن الطفل التوحدي ربما لا يستطيع أن ينام بمفرده حتى وقت متأخر من مرحلة الطفولة .

ويستطيع الآباء أن يواجهوا مشكلات مساعدة الذات بعدة طرق وأساليب من أساليب تعديل السلوك مثل استراتيجيات تحليل السلوك التطبيقي على سبيل المثال . وربما تساعد بعض الفنيات الطفل ، وربما لا تفلح معه بعض الفنيات الأخرى. وربما تفيد بعضها في أوقات أخرى وعلى الآباء ألا يستغربوا إذا لم يجدوا استراتيجية تعمل مع الطفل على الفور ، وعليهم أيضاً ألا ييأسوا ويحبطوا. وربما يستدعي الأمر وقتاً طويلاً ومجهوداً كبيراً من قبل الآباء والطفل ولكنهم في النهاية ستقر أعينهم بما يرونه من تحسن كبير في مهارات مساعدة الذات لدى الطفل . ولعله يكون من الحكمة أن يتيح الآباء للطفل وقتاً كافياً لينضج قبل أن يبدأوا في معالجة المشكلات الصعبة من قبيل مشكلات التدريب على قضاء الحاجة فعلى سبيل المثال إذا لم يستجب الطفل بسرعة للتدريب في سن الثالثة ، فلينتظر الآباء حتى يصل إلى سن الرابعة .

ما الذي يجب أن يتوقعه الآباء بالنسبة للطفل :

لا شك أن الآباء لديهم اهتمامات جادة بخصوص ما تعنيه الفروق والاختلافات المرتبطة بالنمو لدى الطفل لعدة سنوات للأمام. ولعل تلك الأسئلة تعتلج في أذهانهم وتجوس في خواطرهم: هل سيأتي يوم ينطق فيه الطفل ويتكلم؟ وهل ستنخفض سلوكيات إثارة الذات لديه؟ وهل ستنخفض مقاومة الطفل للتغيير إلى الحد الذي يسمح للأسرة بأن تمارس حياة طبيعية ؟ وترى متى سيتعلم قضاء حاجته ؟ وليت شعري متى سيتعلم أن ينام في مخدعه ؟

والحق أنه ليس هناك من المعلومات العامة ما يمكن أن يريح ذهن الآباء بخصوص مشكلات طفلهم . ولكن المعلومات المعروضة في هذا الفصل بخصوص نمو الأطفال التوحديين بشكل عام يمكن أن تساعد الآباء والقائمين بالرعاية بدرجة كبيرة في فهم طبيعة نمو الطفل التوحدي على المدى البعيد . ولعله من المفيد أن يحتفظ الآباء بتقارير وسجلات عن سلوكيات الطفل غير الطبيعية ، حيث إن تلك التقارير وما تحويه من بيانات ومعلومات ستكون عظيمة الجدوى بالنسبة للمتخصصين الذين ربما تراجعهم الأسرة بشأن الطفل .

ويشـــتمل جـــدول (٢) على قائمة ببعض المشكلات الشائعة التي يمكن أن تـــرجع إلـــيها الأسرة. ويمكن أن يحتفظ الآباء بنسخة من هذا الجدول في سجل تقاريـــر الطفـــل، وعندما يشاهدون سلوكا من تلك السلوكيات ، يقومون بتسجيل تـــاريخ حدوثـــه بجواره. وعلى سبيل المثال إذا رفض الطفل أن ينام في سريره وهـــو فـــي ســـن الثانـــية فعلى الآباء أن يسجلوا ملاحظاتهم عن ذلك تحت بند اضـــطرابات الـــنوم. وعلى الآباء أيضاً أن يسجلوا ملاحظاتهم عن تغير السلوك المشـــكل لـــدى الطفل بمرور الزمن. فإذا كان الطفل يرفرف بيديه بدرجات كثيفة جـــداً في الفترة من الثالثة إلى الرابعة، ولكنه توقف عن ذلك السلوك فعلى الآباء أن يسجلوا التاريخ الذي بدأ فيه السلوك وكذلك التاريخ الذي توقف فيه. وإذا كان الآبـــاء يســـتخدمون نظامـــاً للمكافـــآت لتعزيز الجلوس بهدوء، أو اللعب المناسب لمساعدة الطفل على تعلم الضبط الذاتي للسلوك، فعليهم أن يسجلوا ذلك في تقاريرهم .

جدول (٢)
قائمة مراجعة السلوك.

السلوك	ملاحظات
- نظام تناول الطعام (مثلاً، يأكل أنواعا قليلة من الأطعمة فقط، لا يستخدم الملاعق والشوك ..) - نظام النوم (مثلاً: غالباً ما يستيقظ بالليل، ويعاني من مشكلات عند النوم) - المشكلات المرتبطة بالمرحاض وقضاء الحاجة . - إثارة الذات (مثلاً، يرفرف بذراعيه، يضع أشياء أمام عينيه) - مقاومة التغيير . - إيذاء الذات . - نوبات الغضب والصرع . - الانسحاب (غير متجاوب مع الآخرين) - العدوان (يؤذي الآخرين عندما يكون محبطا) - الترديد والترجيع (يردد ما يقوله الآخرون) - عكس الضمير (يستخدم ضمير المخاطب "أنت" بدلاً من ضمير المتكلم "أنا" .) - تعمية الكلام وتوريته وتحريفه (يخترع كلمات ربما لا تكون مفهومة أو ذات معنى واضح بالنسبة للآخرين)	

وبالإضـــافة إلى الاحتفاظ بسجلات للسلوكيات المرتبطة بالتوحدية ، ينبغي على الآباء أن يحتفظوا بسجلات تشتمل على وصف لإنجازات الطفل ونقاط القوة لديـــه فـــي جوانـــب النمو . وبالرجوع إلى جدول (٣) يمكن للآباء أن يعدوا (٤) جداول تساعدهم على تسجيل ومتابعة نمو الطفل في الجانب المعرفي ، والاتصال، والجانب الاجتماعي العاطفي ، والجانب الحركي . وعندما يصل الطفل إلى إحدى المعـــالم المســـجلة فـــي جدول (٣) فعلى الآباء أن يسجلوا تاريخ وصوله إليها ، ويعطـــوا قليلاً من الأمثلة للمهارة الجديدة. وعلى سبيل المثال ، أول مرة يلاحظ الآباء أن الطفل يستخدم جملة مكونة من كلمتين ؛ فعلى الآباء أن يسجلوا التاريخ وكذلك الجملة التي قالها الطفل .

وعـــندما يقـــارن الآبـــاء إنجازات طفلهم بتلك الموجودة في جدول النمو الطبيعـــي ، فعلـــيهم ألا يندهشوا إذا وجدوا أن طفلهم يصل إلى المعالم في أوقات مختلفة عن الأوقات المقررة لها في الجدول ، وأيضاً بترتيب مختلف عن الترتيب الطبيعـــي . فـــبعض الأطفـــال التوحديين يكتسبون المهارات بترتيب مختلف عن الترتيب الذي يكتسب به أطفال آخرون نفس المهارات ، في حين أن آخرين ربما يـــتأخرون ولكـــنهم بكل بساطة يمرون بنفس نماذج النمو . والأطفال التوحديون يشبهون غيرهم من الأطفال في هذا الشأن . لأن كل طفل يعتبر نسيجاً وحده، وله أسلوبه الفردي الفريد في التعلم ، ولديه نقاط قوة ونقاط ضعف خاصة به ، فمن الطبيعي أن ينمو كل طفل بطريقة تختلف عن طريقة نمو أي طفل آخر .

جدول (٣)
معالم على طريق النمو

المهارة	ملاحظات
مهارات الطفل المعرفية : - بحث عن الأشياء التي نقلت من مكانها وغابت عن نظره . - تعرف على نفسه في المرآة . - عد من ١ – ٦ . - رسم صورة إنسان تشتمل على الرأس والجسم واليدين والرجلين. - تذكر الحقائق الرئيسي في قصة قصيرة . - كتب بعض الكلمات . - حدد أيام الأسبوع . - عرف جدول الضرب . - تمكن من إجراء القسمة المطولة . - قرأ في الصحيفة . **مهارات الاتصال لدى الطفل :** - قال با با . - قال ماما ، بابا . - نطق بكلمته الأولى . - وضع كلمتين معاً . - استخدم اسمه ليشير إلى نفسه . - استخدم ضمائر "أنا" ، و "أنت" - استخدم صيغة الجمع . - حدد الألوان . - سأل بعض الأسئلة . - وصف بعض الصور . - تكلم عن مشاعره ومشاعر الآخرين . **المهارات الاجتماعية والعاطفية للطفل :** - رفع ذراعيه لمن يريد حمله. - لوّح بيديه "مع السلامة " - تعاون مع من يلبسه ثيابه بأن أدخل يده أو رجله في الثياب . - حضن الدمية . - خلع حذاءه وجوربه . - لعب بالقرب من طفل آخر في مهمة فردية . - استخدم أدوات تناول الطعام الأساسية مثل الملاعق والشوك . - صب المشروب . - غسل يديه ووجهه وقام بتنشيفها . - لعب على نحو تعاوني (لعب مع طفل آخر في مهمة واحدة). - لبس وخلع ملابسه دون مساعدة .	

تابع جدول (٣)
معالم على طريق النمو

المهارة	ملاحظات
مهارات الطفل الحركية : - جلس بمفرده دون مساعدة من أحد . - حبا وزحف . - مشى رافعاً إحدى يديه . - مشى على نحو جيد . - كتب ورسم بالألوان والطباشير . - صعد ونزل من على السلم وحده . - نسخ خطاً عمودياً . - بدّل بقدميه على السلم . - ركب الدراجة . نسخ دائرة . - رفع الأشياء ولقفها بيديه . - وثب وقفز . - نسخ مثلثاً .	

ما الذي يمكن أن يفعله الآباء لمساعدة الطفل ؟

بادئ ذي بدء يستطيع الآباء أن يغمروا طفلهم بكل المساعدات الممكنة التي تساعده على النمو. فالأطفال التوحديون يمكن أن يلتحقوا بمرافق التعليم التي تمولها الحكومة بشكل عام في مرحلة الطفولة المبكرة، وذلك من خلال المدارس الموجودة بالأحياء التي يعيش فيها الأطفال وأسرهم. ففي تلك البرامج يتلقى الأطفال برامج تدخل مبكرة ومكثفة تهدف إلى تحقيق أقصى استفادة من طاقاتهم وقدراتهم. والعلاج المبكر والمكثف مهم جداً بالنسبة للطفل التوحدي، وعلى الآباء ألا يألوا جهداً في توفير تلك الخدمات لطفلهم .

وفي العقود الماضية تم تطوير تحليل السلوك التطبيقي كأسلوب للعلاج المبكر. وربما يكون استخدام تحليل السلوك التطبيقي لبناء وتشكيل تعليم الطفل التوحدي الصغير ذا أثر كبير على نمو الطفل . فقد أظهر عدد من الدراسات الحديثة زيادة في المهارات المعرفية ، وفي السلوك التكيفي وفي المهارات الاجتماعية بين الأطفال التوحديين في سن ما قبل المدرسة، والذين تلقوا علاجاً مكثفاً يتراوح بين ٣٠ – ٤٠ ساعة في الأسبوع . ويبدأ هذا العلاج بزيادة طاعة الطفل وتجاوبه مع التعليمات والتوجيهات البسيطة، ثم ينتقل بالتدريج إلى

مهـــارات أكـــثر تعقيداً تشمل الكلام ، واللعب ، والاستعداد الأكاديمي ، والتفاعل الاجتماعي . وعندما يتوافر فريق علاجي ذو مهارة، فإن تحليل السلوك التطبيقي لديـــه القـــدرة على تحويل مسار نمو بعض الأطفال . ومع ذلك فإنه ليس علاجاً سحرياً يشفي جميع العلل ويبرئ جميع الأسقام ، ويغير الأمور بضربة لازب ، بل إن كثـــيراً مـــن الأطفال ربما يستمرون في إظهار بعض المشكلات الخطيرة على الـــرغم مـــن جـــودة العلاج الذي يتلقونه . وبالإضافة إلى الخدمات التي تقدمها المـــدارس العامـــة ، يمكن أن يستفيد الآباء من الخدمات التي يقدمها المدرسون الخصوصـــيون والمعـــالجون . ويمكـــن للآباء أيضاً أن يستفيدوا من المنظمات والمؤسسات المحلية ، ومن آباء الأطفال التوحديين الآخرين .

وأخـــيراً على الآباء ألا يقللوا من شأن التغير الهائل الذي يمكن أن تحدثه البيـــئة المنزلـــية في حياة الطفل . حتى وإن كانت توحدية الطفل تعتبر اضطراباً بيولوجـــياً ، فـــإن المـــبادرة المبكرة بتعليم الطفل المهارات الاجتماعية واللغوية ومهـــارات رعايـــة الذات ستكون ذات فائدة عظيمة فيما بعد . وكلما ازداد الوقت الـــذي يقضـــيه الآبـــاء مـــع الطفل كان ذلك أفضل . وعلى الآباء ألا يحقروا من الأعمـــال شيئاً وإن كان صغيراً ، وألا يحقروا من الوقت شيئاً وإن كان قصيراً ، وليضـــعوا نصب أعينهم دوماً أن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، ولربما كانت فترة نصـــف ســـاعة يومياً يقضيها الآباء في تعليم الطفل في البيت بالإضافة للساعات التـــي يقضيها الطفل في المدرسة في طفولته ومراهقته تمثل إضافة كبيرة وذات فائدة جليلة بالنسبة لتعليم الطفل . فعلى الآباء أن يعملوا مع أطفالهم لأطول فترة ممكـــنة ، وليتذكروا دائماً أن المهم في الأمر هو ليس مدى سرعة الطفل في تعلم مهـــارة معينة، وإنما المهم هو مدى إتقانه لتلك المهارة في النهاية . ورضي الله عن الإمام على بن أبي طالب إذ يقول :

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

وإذا علـــم الآبـــاء قـــيمة العـــلاج المـــبكر المكثف، فإن عليهم أن يتأكدوا ويستوثقوا من أن طفلهم يتلقى الخدمات الملائمة منذ نعومة أظفاره .

خاتمة :

لـيس هـناك طريقة مثلى أو أسلوب واحد صحيح يتبع في تربية وتنمية الأطفـال . فالأطفـال جمـيعاً يولـدون ولديهم قدرات مختلفة؛ ولذا فإنهم ينمون ويكـبرون ويـتعلمون كلٌ وفق جدوله الخاص به . ومع ذلك فبسبب التأثير الذي تحدثه التوحدية على الطفل يمكن أن يتوقع الآباء أن طفلهم سينمو على نحو أبطأ مـن نمـو معظـم الأطفال ، وأنه سيواجه مشكلات في السيطرة على المهارات الاجتماعـية ومهـارات الاتصـال ومهارات مساعدة الذات . ومع ذلك فإن الآباء يسـتطيعون أن يعوضوا ذلك النقص ويجبروا ذلك الكسر عن طريق تقديم وتوفير الـتدخل الجـيد المـبكر والـبرامج التعليمية للطفل على نحو مكثف . فالأطفال الـتوحديون يمكـن أن يكتسبوا مهارات رعاية الذات ، وأن يسيطروا على بعض المفاهـيم الأكاديمـية ، وأن يطوروا على الأقل أساسيات ومبادئ الاتصال ، وأن يـتعلموا التعاون في المواقف الجماعية . بمزيد من المساعدة والتشجيع يستطيع الطفـل أن يسـيطر على تلك المهارات ، وأن يمارسها على نحو أسرع وبكفاءة أكبر وإتقان أعلى.